مولده وتعليمه عاش الطاف حسين حالى فى فترة عصيبة من تاريخ شبه القارة الهندية التي شهدت خفوت آخر ضوء للدولة المغولية في الهند بعد حكم استمر عدة قرون، وبعد أن لفظت تلك الدولة آخر أنفاسها بفشل ثورة التحرير عام ١٨٥٧م، وبسطت نفوذها السياسي على شبه القارة التي أدخلتها ضمن مستعمراتها عام الباب الثالث. الطاف حسين حالى (١٨٣٧- ١٩١٤م) الفصل الأول ١٨٥٨م. ويساعدنا حالي نفسه في التعرف على جوانب حياته المختلفة التي كتب عنها بطريقة محددة ومرتبة، فقد ولد بمدينة پاني پت عام ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م١)، وقد كان اجداده من الأسر العريقة أصحاب الأملاك، فمن سلسلة أسرته خواجه ملك على العالم الكبير المشهور الذى نزح من هرات إلى الهند في عهد غياث الدين بلبن، وكانت له أملاك كثيرة بالقرب من پاني پت التي كان قاضيا عليها، وكان يوفد من قبل الملك الإقامة الصلاة في الأعياد، أما والد حالى خواجة ايزد بخش فقد قضى حياته في ضيق وعوز بعد ضياع أملاكهم، تلقى حالى تعليمه بالأسلوب القديم، فقد حفظ القرآن أولا، ثم بدأ فى تعلم اللغة العربية وقواعدها على حاجي إبراهيم حسين الأنصارى، ولما كان حالى مولعا بالإطلاع والدرس، وذهب إلى مدينة دهلي. وأقام بها ما يقرب من عام ونصف، ودرس فيها بعض كتب النحو والصرف والعروض في اللغة العربية، ودرس المنطق وغيره على فواز شاه على العالم المشهور، والواعظ الكبير في تلك الفترة (٢) ، وفى عام ١٨٥٥م رجع إلى پانى پت وظل بها عاما، فاضطر إلى الرجوع لبلدته ثانية، وظل بها ما يقرب من اربع سنوات قضاها فى الدرس والإطلاع) ، كما أطلع على كتب الأدب مستعينا بالقواميس والشروح مما أضاف إلى فكره وثقافته الكثير (''). وظائفه وقد اضطر إلى تلك الوظيفة، ورجع إلى مدينة باني بت بعد اندلاع الثورة، وقد ظل بتلك المدينة أربع سنوات دون عمل، نظرا للظروف الاقتصادية المتدهورة، والآثار السيئة التى ترتبت على فشل الثورة، ثم عمل مربيا للأولاد عند الشاعر الكبير نواب مصطفى خان شيفته لمدة ثمانى سنوات في جهانگير آباد بعد مقابلته له، وفي عام ١٨٧٢ ذهب حالى إلى لاهور فعمل في "گورنمنث بك د بو" "مخزن كتب الحكومة" مصصحا للكتب المترجمة من الإنجليزية إلى الأردية لمدة أربع سنوات تعرف خلالها على الأدب الإنجليزي. وفي عام ١٨٨٧ م عمل حالى فى بورڈ نگ هاوس ميں طلبہ كى اتاليق مربيا في المدينة الجامعية بكلية ايجسن بلاهور، واستمر فى هذه الوظيفة ثمانية أشهر فقط رجع بعدها إلى العمل في المدرسة الإنجليزية العربية بدهلي بمرتب ضئيل، حتى تقابل مع سر آسمان جاه بهادر" في على گڑھ عام ١٨٨٧م الذي عينه بمرتب كبير في حيدر آباد حيث ظل بها إلى عام ١٨٨٩م، ثم طلب الاستقالة من وظيفته القديمة، وعاد إلى بائى پت ليقضى بقية حياته في التأليف والتصنيف، وقد ارتبط حالى بالطبقة المتوسطة وبأخلاقها وبطابعها الذي اتسم بالكفاح إلى جانب البساطة والمودة والإخلاص والتراحم، حتى أصبحت تلك الصفات جزءا من شخصية حالي، كما كانت مفتاح شخصيته وفنه أيضا (١). فقد كان حالى على خلق حميد وحياء شديد، بل كان قلبه مفعما بالمشاعر الطيبة، وطموحات واسعة من أجل قومه. وقد جمع حالي بين كثير من الصفات والمهارات فقد كان شاعرا كبيرا وناشرا وأديبا عظيما، وكاتبا للتراجم وسير الحياة وبعض المقالات الأدبية الجيدة (٢) ، علاوة على نشاطه في المجتمع الهندى خاصة بعد لقائه بسرسيد احمد خان في دهلي ثم فى على گڑھ، لذا كان من أوائل المعاونين لسرسيد في هذه الحركة، كما زار العديد من مدن الهند. الذي شعره المرحلة الأولى : فن الغزل بدأ حالى حياته الشعرية في دهلي، وقد تتلمذ على الشاعر الكبير مرزا غالب الذي سُرَّ باستعداد حالى لأن يكون شاعرا، لكن حالى لم يبق فى دهلى سوى عام ونصف. أما صلته باستاذه قلم تنقطع (٣)، إذ كان يرسل إليه غزلياته لإصلاحها. وكان لصحبته له ثماني سنوات أثر كبير في شاعريته، ونضج موهبته الأدبية (٤) ، إذ تخلص من جانب من الأسلوب القديم للشعر الذي اتسم بالمبالغة والتكلف فكتب مولود شريف ذات الصبغة الدينية التي تتميز بحمية العقيدة. وفي عام ١٨٦٥ م نظم حالى قصيدة مدحية بالأسلوب التقليدي، وأرسلها إلى مرزا غالب الذي كان تأثيره فيها واضحا على أسلوب حالى، إلى جانب تأثير أسلوب شيفته عليه في تلك الفترة وهكذا تعلم حالى من مرزا غالب رقة الخيال وحسن الأداء كما تعلم من شيفته التعبير عن العواطف، وبساطة اللغة وصفائها، حالي أنا المستفيد من شيفته فى قرض الشعر إننى تلميذ مرزا (غالب) وأنا أقلد مير أما غزليات حالي في هذه الفترة فيتضح فيها أثر غالب وشيفته. وفي عام ١٨٦٩ م توفى مرزا غالب فكتب حالى "مرثية "غالب" في شكل تركيب بند، ثم توفى مصطفى خان شيفته في نفس العام، فانتهت تلك الفترة التي كان متأثرا فيها بهذين الأستاذين الكبيرين، وكانت صلته فيها بالدين قوية، كما اتضح من أشعاره التي عبر فيها عن عواطفه ومشاعره الدينية، وعن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم وتعلقه به). لكنه لم يترك ذلك المرحلة الثانية : الشعر الحديث وقد استفاد في هذه المرحلة الشعرية من إقامته في لاهور حيث اكتسب خبرة علمية وعملية عميقة، وكون رأيا خاصا به في سياسة البلاد، وقد ساعده عمله في الترجمات كما أشرنا في الإطلاع الجيد على الأدب الإنجليزي بما اتسم به من البساطة والصفاء، وقد أدى ذلك إلى شعور حالي بتدهور الأدب الشرقي وعدم ملائمته لظروف العصر ومتغيراته، وقد تمنى حالى أن يتطور الشعر الأردي

Summarized by © lakhasly.com

بحيث يواكب العصر، ويتخلص من جموده وتعقيده بحيث يكون بسيطا صافيا واقعيا (٣). وتعد هذه المرحلة في شعر حالى هى المرحلة التي عبر فيها عن إشفاقه لسوء حال قومه، وتدهور أحوالهم، وقد تأثر بالحركة الإصلاحية لسرسيد احمد خان من ناحية، كما تأثر بالأدب الإنجليزي، ورأى أن الشعر التقليدى لا يفيد في هذا الميدان بقدر ما يفيد الشعر الجديد الذي ينبه قومه ويحثهم على النهضة، ويأخذ بأيديهم إلى الطريق القويم للحياة)، وفي ذلك يقول: فلماذا تغنى أغنية لا تناسب العصر لقد مضت أيام قرض الغزل يا حالي ومن هذا المنطلق اختار حالى لنفسه أسلوبا مختلفا في الأدب بعد أن ترك نظم الغزل بالأسلوب التقليدى القديم، وجعل الشعر القومي والملى والإصلاحي والأخلاقي ميدان عمله الأساسى . وكانت البداية أثناء إقامته بلاهور حيث أسس محمد حسين آزاد "انجمن پنجاب" "جمعية البنجاب" عام ١٨٧٤م بلاهور تحت إشراف الجنرال هالراید رئيس مكتب تعليم البنجاب، وقد كانت تلك الجمعية تعقد مجالس شعرية من نوع جديد قائم على الموضوعات المختلفة عن النظام الكلاسيكي الواحد للشعر الأردى القديم. وكان هدف هذه الجمعية تطوير الشعر بحيث يستوعب متغيرات العصر، لم يكن حالى من مؤسسى الجمعية، وقد ساهم بدور فعال في جلساتها، وشارك بأربع منظومات هي: بركهارت" "المطر" و "نشاط اميد" و "نشاط الأمل" و "مناظرات رحم وإنصاف" مناظرة بين الرحمة والإنصاف" "حب" "وطن" "حب" "الوطن" وقد قرئت هذه القصائد ترك حالي لاهور بعد انتهاء عمله بها، وذهب إلى دهلى عام ١٨٧٥م، وهناك قام بعدد من الأعمال الهامة منها الكتابة فى مجلة "تهذيب الأخلاق" التي كان يصدرها سرسيد احمد خان إضافة إلى كتابته في مجلة "المعهد العلمي" بعلى گڑه. وفي نفس العام كتب شعرا بعنوان "مباركباد" بمناسبة عيد ميلاد الملكة فيكتوريا وافتتاح مدرسة العلوم بعلى كرهـ، وأرسل هذا الشعر إلى سرسيد هذا الشعر الذي يعده غلام وفي تلك الفترة كان سرسيد يعمل جاهدا على إيقاظ المسلمين من سباتهم، وعلى إصلاح أحوالهم، وعندما رأى فى حالى الاستعداد والهمة في العمل على نهوض قومه طلب منه أن يكتب شعرا فى تدهور المسلمين آنذاك (4) فكتب حالي مسدسه المعروف بـ مد وجزر الإسلام" ونشره عام ١٨٧٩م، والذى بدأ منه الشعر القومي في الأردية. وقد اشتهر هذا المسدس بين الناس ولاقى قبولا كبيرا، وردد الناس أشعاره منذ طبعته الأولى، ولم ينجح أحد في هذا الفن مثلما نجح حالي الذي بدأت شهرته بسبب أشعار هذا المسدس باعتباره شاعرا قوميا). وفي هذه الفترة أصبح حالي أكثر اتزانا، وبدا الناس يشهدون بجدارته العلمية، وقد قام حالي بعدد من الأعمال العلمية، وأدى بعض الخدمات القومية أثناء إقامته بدهلي في مجالات مختلفة دينية وفكرية وسياسية وغيرها عن طريق أشعاره، هذا إلى جانب الموضوعات النثرية الهامة. وعندما ذهب حالي إلى على كرهـ لأول مرة وشاهد مدرسة العلوم ومبانيها وإدارتها والمسئولين عنها كتب عنها بالتفصيل عندما رجع إلى دهلى وبعد كتابة حالي للمسدس بدأ يكتب في الجوانب المتنوعة للحياة القومية علمية وتعليمية واقتصادية واجتماعية بأسلوب خاص يفيض عمقا في المشاعر واتساعا في النظر وإحساسا بالحزن والألم لما آلت إليه أحوال بلاده (٢). وهكذا يتضح أن حالى لم يكتب الأدب للأدب فقط، وإنما كتبه بهدف إصلاحي فقد سيطرت العاطفة القومية على أعماله كما رأيناه بوضوح في قصيدة تعصب وإنصاف" في شكل المثنوى، وكذلك مثنوى راست گوئى و مناظر واعظ و شاعر ". كما كتب حالي بعض المنظومات منها مرثية في فساد دهلي وخرابها، ومرثية حكيم محمود خان صاحب التي رسم فيها صورة التناقض بين عظمة المسلمين في الماضي، فقد اشتهر كذلك بأنه خطيب له ألفاظه القوية المؤثرة التي خاطب بها المسلمين لينبههم ويشحذ هممهم ليتحرروا مما وقعوا فيه من ذل وهوان، وقد ساهم حالى بشعره في الكثير من المناسبات والأحداث القومية في البلاد، وهكذا يتضح لنا مدى التطور الفكرى والعقلى من خلال كتاباته ومؤلفاته أولاً: المثنويات وتضم "مناظره تعصب وإنصاف" و "رحم وإنصاف" و "بركهارت" و نشاط اميد" و "حب وطن". ثانيا: مسدس "مد وجزر إسلام" ثالثا: شكوه هند رابعا: كلياته وتضم الجزء الأول والثانى، وقد نُشر فيها ديوانه مع مقدمة شعر وشاعرى. اليهودي: مناجات بيو و شيب. ويضم منظومات أردية متفرقة. ثامناً: مجموعة نظم فارسي، كتب حالى فى كل فنون الشعر الأردى وأشكاله من الغزل والقصيدة والرثاء والرباعي والقطعة والنظم الشعر الحديث). وقد تناول في شعره كثيرا من الموضوعات كالأخلاق والنصيحة وشعر الأطفال وشعر المرأة والموضوعات القومية والملية، ولقد انقسم فن الغزل إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: من عام ١٨٦٣ وحتى عام ١٨٧٤م، المرحلة الثانية: من عام ١٨٧٤ وحتى عام ١٨٩٣م،

Summarized by © lakhasly.com